بمناسبة العتاب اللبناني

الأخوة الأدبية بين البلاد العربية

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

كنتُ دعوتُ في البريد الأدبي للرسالة الأديب اللبناني « إلياس أبو شبكة » إلى رسم لوحة أدبية للشاعر اللبناني المعاصر نجيب إليان بمناسبة نجاحه في مسابقة الشعر العربي التي نظمتها محطة الإذاعة اللاسلكية في لندن . ولقد خصصت بالدعوة الأستاذ « أبو شبكة » ، لأنني أعرف من ريشته الفاتنة في تصوير الأشخاص ما لا يعرف الكثيرون . ولأن هذه المعرفة جاءتني من طريق كتاب له عنوانه « الرسوم » صوّر فيه طائفة من أدباء لبنان تصويراً يبرز التفاصيل على أصولها ويخرج الدقائق إخراجاً لا يُخطىء كما لا تُخطىء العدسةُ الطبيعةُ في إخراج التفاصيل

وما عرفتُ « أبا شبكة » معرفة الجسم ولا مرأى العين ، ولكنني عرفته من كتابه « الرسوم » ومن ديوانه « أغاني الفردوس » الذي تفضل فأهداه إليّ بتوقيعه الكريم في سنة ١٩٣٨ . ومن حينها انعقد بيننا ودٌّ روحي أكدته قراءتي له ومتابعتي لآثاره في صحف لبنان التي تحملها الأقدار السعيدة إليّ

وما كنت أظن وأنا أقترح عليه هذا المقترح أن في صدره أموراً طوى كَشْحَه على مستكناتها ، وأن في نفسه كلاماً يريد أن يقوله ؛ فإذا به في العدد ٢٩٠ من مجلة « الجمهور » اللبنانية يرد عليّ رداً ينكر به قديم ودنا ويتجاهل « ساعده الله » (محمد عبد الغني حسن موقّع القسم الأول من البريد الأدبي في الجزء ال ٥٢٨ من الرسالة)

وإذا كان الأخ قد نسي وديّ فأنا أجد من حق عليه أن أذكّره بمقدمة الإهداء التي كتبها على « أغاني الفردوس » ، حين أهداه إليّ من لبنان البعيد

وفي رد أبي شبكة عتاب على الرسالة خاصة وعلى الصحافة المصرية عامة . ولكنه عتاب شديد مشى فيه صاحبه إلينا بالسيوف كما مشى الشاعر قبله إلى الملك الجبار حين صعّر خده ! ولكنه عتابٌ حبيبٌ إلى النفس ، لأنه عتاب الأخ الكريم والجار الجُنُبُ ؛ ولأن فيه صراحة لأنه من شاعر لا يحب الكذب ولا المواربة ، ولا يخرج الخبيث من القصد بصورة المجاملة أو اللياقة أو المرونة

ويظهر لي أن العدسة الطبية التي اختص الله بها الشاعر « إلياس أبو شبكة » قد استحالت إلى عدسة مكبّرة مهوّلة تخلق القباب من الحبوب ، وتجعل الجبال من النمال ! فهو يثور على صحافة مصر في غير موضع للثورة ، ويعتب على أدباء مصر في غير محل للعتاب ، ويتهم الصحافة المصرية إجمالاً بإهمال الحركة الأدبية القائمة فيما يلي مصر من الأقطار العربية وخاصة لبنان . ويتهم الأستاذ أحمد حسن الزيات بالتعصب ، ولكنه يجله ويقدر أدبه ويعرف مكانته هو وجميع أدباء لبنان (الذين لا يعرفون للأدب حدوداً ولا يقررون له مناطق)

وبالطبع لم تمر كلمة الأستاذ أبي شبكة من غير رد أو تعقيب . وكان أسبقنا إلى الكلام الأستاذ ابراهيم المازني في عدد ١٢ سبتمبر من البلاغ . وتَنَى الدكتور زكي مبارك بكلمة في العدد ٥٣٣ من الرسالة اعترف فيها بإغفال المجلات المصرية للحركة الأدبية في لبنان وغيره من الأقطار العربية ؛ ولكنه رد ذلك إلى إغفال عام للحركة الأدبية في مصر ذاتها . وهذا كلام في جملته صحيح ولكنه يحتاج إلى بعض التصحيح ... فالحركة الأدبية في الأقطار العربية عامة ملحوظة في بعض الصحف المصرية « كالمقتطف » التي لا ينفي عنها مصريتها كونها من أصل لبناني . ومجيب جداً أن يتكلم الأستاذ في « لبنانية المقتطف » أو « مصرية الرسالة » ؛ وهو كلام لا نحبُّ أن نسمعه لأنه يوجع الآذان والقلوب ، ولأنه يفسح المجال لمن يقولون : هذا مصري ، وهذا لبناني

لم يعرف شيئاً من العامية ، فيبدأ في تعلم العربية من جديد كلمة كلمة ، وحرفاً حرفاً ، وأسلوباً أسلوباً ، ونظماً نظماً

قد بلغنا في نصرة الأسلوب الجديد في تعليم اللغة العربية المبلغ الذي وسعه الجهد ، وإن كان قليلاً ، وبلغه الوسع وإن كان ضئيلاً ، ولم نترك حجة تفيد نصرته إلا تتبعناها ، ولا شبهة تدل على خلافه إلا أفسدناها . ولم يبق للمهيمنين على تعليم اللغة العربية في وزارة المعارف وفي الجامعة وفي الأزهر عذر في ألا يصطنعوا هذا الأسلوب ؛ فقد وضح الحق ، وانخذل الباطل ، ولم يبق عذر لمعتذر

محمد عرفة

وكيف يا أخي أغفلت « الرسالة » وغيرها أدبكم ، وأهملت إنتاجكم ، وهي تنشر لشكرى فيصل وسعيد الأفغاني وعلي الطنطاوي وطه الراوي وأنستاس الكرملي واحمد صافي النجفي وحسين الظريفي وكوركيس عواد وميخائيل عواد ، وفدوى عبد الفتاح طوقان ووداد سكاكيني وغيرهم وكلهم من الأقطار العربية القريبة والنائية ؟

ثم ما وجه عتابك أنت بالذات يا أخي وأنت لا تكتب حتى في المجلات المصرية التي يديرها ويشرف عليها - كما تزعم - لبنانيون كالمقتطف والهلال ؟ فما رأينا لك فيها من زمان بعيد أثراً ، على حين قرأنا لأخينا اللبناني الأستاذ كرم ملحم كرم أخيراً قصة لبنانية رائعة في إحدى المجلات الشهرية

والحق أنك يا أخي أصابك نوع من ركود الإنتاج الأدبي فأخذت تتجنى على صحافة مصر البريئة وأدبائها البرآء . ودليلي على ذلك أن صحافة مصر الأدبية في هذا العام مملوءة بأسماء ميخائيل نعيمة اللبناني وعدنان مردم بك وعبد الوهاب الأمين البغدادي ونقولا زيادة الفلسطيني وأسعد طلس السوري وصلاح اللبكي وزكي المحاسني وخليل هنداوي وصلاح الدين المنجد ورابي الراعي وغيرهم من أدباء الأقطار العربية . فأين اسمك بينهم ، وأين جولك في ميادينهم ؟

أما كتبكم يا أخي فلم تغفلها الصحافة المصرية جملة ولا الأدباء المصريون . وإلا كنتَ في هذه الدعوى متجنياً علينا كعادتك . ففي مجلة مصرية شهرية باب للمكتبة العربية لا يفلت منه كتاب عربي خرج في سوق الأدب مهما ضؤل حجمه ! حتى ديوان « خيوط النهار » الذي نظمه الشاعر السوري الرقيق عبد الله بوركي حلاق ، وكتب مقدمته صديقك كرم ملحم كرم . ولست أريد هنا أن أشق عليك وعلى القراء بالحديث عن نفسي وعن مكتبة مصرية شهرية . فما أسمج أن يتحدث المرء عن نفسه !

على أن الصحف المصرية نفسها قد تسكت عما يصدر في مصر نفسها من الآثار الأدبية - كما قال ذلك بحق الدكتور زكي مبارك في رده عليك - فإن سلسلة « إقرأ » لم تظفر من « الرسالة » بكلمة واحدة على طرافة ما كتب في تلك وجدّته . وخاصة تلك « الدجاجة الفلسطينية » التي وجدنا من حديثها عقلاً وعجباً .

وقد تلاحظ يا أخي رواج كتبنا في بلادكم وإملاق بلادنا من كتبكم . وتلك حقيقة يا أخي لا نحمل نحن مسئولية التقصير فيها . ولعل لتجار الكتب وموزعيها يداً في ذلك ، فنحن قد نحني أقدامنا في السؤال عن كتاب طبع في الشام فلا نجد له أثراً ؛ حتى كتب الكبار من أدبائكم . فإن « ملوك العرب » لأمين الريحاني لم أجده في مصر إلى أن أهداني مؤلفه وحمّله صديقي المرحوم ألفريد الجميّل . وكانت لنا مشاركة في مجلة المكشوف - حيا الله صاحبها - فلم نستطع الحصول عليها من مكتبات مصر . حتى كتابك الرسوم لم أعثر على نسخة منه إلا بقدَر سعيد . . . ولولا هداياكم المتوالية ما عمرت مكتباتنا الخاصة بكتبكم التي نقرؤها ونجلها

على أن المعاتبة بينكم لا تحملك يا أخي على أن تسكت عن دعوة دعوتك إليها في موضوع الكتابة عن الشاعر اللبناني نجيب إليان . فاكتب عنه في أية صحيفة شئت ؛ وارسمه في أية مجلة أردت ، ولكن لا تنس أنك أسأت الظن « بالرسالة » التي لا ينكر فضلها في تكوين الروابط العربية إلا غيرُ منصف . وحاشاك أن تكونه والسلام .

محمد عبد الغني حسن

إلى هواة المغناطيسية

وإلى المصابين بالاضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية من شرح طرق وتدريبات تعلمك كيف تتخلص من الخوف والوهم والخجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن العلل والآلام الجسدية وفي تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسي والحصول على دبلوم في هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصري بنمرة بمصـــر وارفق بطلبك ٣٠ مليماً طوابع المصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .